الجزء الثانى

الإسلام وبوناپارت

الإسلام وبوناپارت

• سرديات العرب عن بوناپارت .

من وجهة النظر التاريخية، كاتبان عربيان أعطيا هذا الموضوع اهتماما خاصا : نقولا، والجبرتى[١] .

الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ولد فى القاهرة عام ١٧٥٤ ميلادية ١١٦٧ هجرية، كان أجداده كوكبة من العلماء البارزين .

الجبرتى كان من موالى آخر المماليك، كان ينتمى إلى فريق العلماء أثناء الاحتلال الفرنسى، انتخب عضوا فى الديوان الكبير الذى أسسه بوناپارت فى القاهرة . فى أواخر أيامه، كان يعيش فى قصر محمد على باشا، حيث كان يعمل مؤذنا للصلاة، مات ميتة عنيفة غامضة فى ليلة ٢٧ رمضان (١٨/ ٦/ ١٨٢٢) خرج من قصر محمد على بشبرا فى طريق عودته إلى القاهرة شُنق فى شارع شبرا، وربط بحبل فى قدم حماره . منع نشر أعمال الجبرتى، إلى أن بدأ عهد توفيق باشا الذى أمر بنشرها[٢] ، أما نيقولا، فهو سورى كاثوليكى الدين ولد عام ١٧٦٣ ميلادية ومات عام ١٨٢٨ فى دير القمر بسوريا . أصول أسرته من القسطنطينية، كتابه عن تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر، ظهر فى پاريس تحت عنوان «الحملة الفرنسية فى مصر بقلم نيقولا الترك» نشرها وترجمها السيد ديسجرانچيس سكرتير الملك . طبعت فى پاريس بإذن من الملك فى دار الطباعة الملكية عام ١٨٣٩[٣] . الجبرتى ونقولا جاهدا؛ لكى يظلا على الحياد .

إذا كان الجبرتى لايفهم شيئا عن بوناپارت الذى يريد - رغم ذلك - أن يروى قصته

نجد أن نقولا لم يقم فقط بالملاحظة، بل قام أيضا بالمراقبة، وهو لم يكن راضيا عن المماليك، وكان يفهم العمل التنظيمى الذى حاول بوناپارت أن يحققه. شرح ببساطة المظاهر المتتابعة لهذا العمل، دون أن ينسى نفسه فى هذا الاستطراد، وأعاد روايتها بوعى مع توثيق قيم بأسلوب ينير الموضوع.

الجبرتى من الناحية الأخرى جمع أكثر الوثائق إنارة، واستطاع بتعليقاته الشخصية أن يعتم كل شىء.

هل نحن نفترى على الشيخ الصالح، عبد الرحمن الجبرتى؟ نحن نحترم شخصيته بقدر ما نأسف لعدم قدرته فى الحكم على الأشياء. لكى ندع القارئ يحكم بنفسه، دعنا نأخذ موضوعا محايدا، موضوع المعهد المصرى. رواية الجبرتى عنه مثيرة ولكنها صبيانية تماما، ألم يكن فى القاهرة شيوخ آخرون يستطيعون وصف إنشاء هذا المعهد بذكاء أكثر؟! لدينا لتأكيد ذلك شهادة بوناپارت نفسه.

الوثيقة (٣٠)

الجبرتى عن المعهد المصرى

أقاموا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية أبنية وأبراجا ووضعوا بها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه، وهدموا عدة دور من دور الأمراء، وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم، وأفردوا للمديرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد ومابه من البيوت مثل بيت قاسم بك وأمير الحج المعروف بأبى يوسف وبيت حسن كاشف القديم والجديد الذى أنشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد، وعند تمام بياضه وفرشه، حدثت هذه الحادثة ففر مع الفارين وتركه وفيه عدد كبير من كتبهم وعليها خازن ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريدون المراجعة فيراجعون فيها مرادهم، فيجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين، ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسٍ منصوبة موازية تختة

عريضة مستطيلة، فيطلب من يريد المراجعة مايشاء منها فيحضرها الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر.

إذاحضر إليهم بعض المسلمين ممن يريدون الفرجة، لايمنعونه من الدخول إلى أفضل أماكنهم ويتلقونه بالبشاشه والضحك وإظهار السرور بمجيئه إليهم، وخصوصا إذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أوتطلعا للنظر فى المعارف، بذلوا له مودتهم ومحبتهم، ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها الأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم ممايحير الأفكار.

لقد ذهبت إليهم مرارا وأطلعونى على ذلك، فمن جملة مارأيته كتاب كبير يشتمل على صورة النبى ﷺ مصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم، هو قائم على قدميه ناظر إلى السماء كالمرهب للخليقة، وبيده اليمنى السيف وفى اليسرى الكتاب، وحوله الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بأيديهم السيوف.

وفى صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين، وفى الأخرى صورة المعراج والبراق وهو ﷺ راكب عليه، وصورة بيت المقدس والحرم المكى والمدنى، وكذلك صورة الأئمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين، ومثال إسلامبول وما بها من المساجد العظام صوفية، وجامع السلطان محمد وهيئة المولد النبوى وجمعيةأصناف الناس لذلك، وكذلك جامع السلطان حسين وهيئة صلاة الجمعة فيه، وأيضا جامع أبى أيوب الأنصارى وهيئة صلاة الجنازة فيه، وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام والصور والأشكال المرسومة وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنباتات والأعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الأثقال، وكثير من الكتب الإسلامية مترجم بلغتهم الفرنسية.

ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضى عياض، ويعبرون عنه بقولهم: شفاء شريف. والبردة للبوصيرى، ويحفظون جملة من أبياتها وترجموها إلى لغتهم

الفرنسية، ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ،ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضيات ومعرفة اللغات .

لديهم اجتهاد كبير فى معرفة اللغة (العربية) والمنطق، ويدأبون فى ذلك ليلا ونهارا وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها ،بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون فى أى لغة كانت إلى لغتهم فى أقرب وقت .

عند توت الفلكى وتلامذته فى مكانهم المختص بهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة، وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه، وهى تركب ببراريم مصنوعة محكمة، كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض ،برباطات وبراريم لطيفة، بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ، وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها إلى المرئى، وإذا انحل تركيبها وضعت فى ظرف صغير، وكذلك نظارات للنظر فى الكواكب وأرصادها ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها .

توجد أيضا أنواع المنكابات والساعات التى تسير بثوانى الدقائق الغريبة الشكل الغالية الثمن، وغير ذلك (من الأجهزة) .

أفردوا لجماعة منهم إبراهيم كتخدا السنارى وهم المصورون لكل شىء ومنهم اريجو المصور وهو يصور صور الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز فى الفراغ بجسم، يكاد أن ينطق حتى إنه صور صورة المشايخ كل واحد على حدة فى دائرة ،وكذلك غيرهم من الأعيان، وعلقوا ذلك فى بعض مجالس صارى عسكر (القائد العام) وآخر فى مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات، وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها، ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب الذى لايوجد ببلادهم، فيضعون جسمه بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم فيبقى على حالته وهيئته لايتغير ولايبلى ولوبقى زمنا طويلا .

كذلك أفردوا أماكن للمهندسين وصناع الدقائق . وسكن الحكيم رويا ببيت ذى

الفقار كتخدا بجوار ذلك، ووضع آلاته ومساحقة وأهوانه فى ناحية، وركب له تنابر وكوانين لتقطير المياه والأدهان واستخراج الأملاح، وقدورا عظيمة وبرامات، وجعل له مكانا أسفل وأعلى، بهما رفرف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة، وبها كذلك عدد من الأطباء والجراحين.

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف چركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوى، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع، وآلات تصاعيد الأرواح وتقاطير المياه، وخلاصات المفردات، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة والحلالة، وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلف الأشكال والهيئات على الرفوف والسدلات وبداخلها أنواع المستخرجات.

ومن أغرب مارأيته فى ذلك المكان أن بعض المتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموجود فيها بعض المياه المستخرجه، فصب منها شيئا فى كأس ثم صب عليها شيئا من زجاجة أخرى، فعلا المآن وصعدا من دخان ملون حتى انقطع وجف ماءا الكأس وصارا حجرا أصفر، فقلبه على اليمرجات حجرا يابسا أخذناه بأيدينا ونظرنا منه، ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجرا أزرق وبأخرى فجمد حجرا أحمر ياقوتيا وأخذ مرة شيئا قليلا جدا من غبار أبيض، ووضعه على السندال، وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة (طلقة البندقية) انزعجنا منه فضحكوا منا، وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ضيقة الفم، فغمسها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشب مصفح من الداخل بالرصاص وأدخل معها أخرى على غير هيئتها وأنزلهما فى الماء وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء فى إحداهما وأتى آخر بفتيلة مشتعلة، وأبرز ذلك فم الزجاجة فى الماء، وقرب الآخر الشعلة إليها فى الحال فخرج مافيها من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضا.

وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكيمة، تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة

الطبائع، ومثل الفلكة المستديرة التى يديرون بها الزجاجة، فيتولد فى حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شىء كثيف ويظهر له صوت وطقطقة، وإذا أمسك علاقتها شخص ولو خيطا لطيفا متصلا بها، ولمس آخر الزجاجة الدائرة أوما قرب منها بيده الأخرى، ارتج بدنه وارتعد جسمه وطقطقت عظام أكتافه وسواعده فى الحال بموجة سريعة(*)، ومن لمس هذا اللامس أو شيئا من ثيابه أوشيئا متصلا به، حصل له ذلك ولو كانوا ألفا أوأكثر، ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة، ينتج منها نتائج لايسعها عقول أمثالنا.

الوثيقة (٣١)

مقتطفات من الجبرتى(٤)

شهر رجب عام ١٢١٣ هجرية

فى يوم الاثنين سادس عشرة، سافر صارى عسكر (القائد العام) بوناپارت إلى السويس، وأخذ بصحبته السيد أحمد المحروقى وإبراهيم أفندى كاتب البهار، وأخذ معه أيضا بعض المديرين والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهرى والطون أبا طاقية وغيرهم، وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان(**) وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية.

فى هذا اليوم شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر، وعينوا له ستين نفراً منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص، وهم الذين يحضرون دائما، ويقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى، والباقى بحسب الاقتضاء، والأربعة عشر وهم من المشايخ: الشرقاوى، والمهدى، والصاوى، والبكرى، والفيومى.

ومن التجار: المحروقى، وأحمد محرم.

ومن النصارى القبط: لطف الله المصرى.

(*) موجة كهربية.

(**) الهودج يوضع فوق الجمل لجلوس الراكب.

ومن الشوام : يوسف فرحات وميخائيل كحيل .

ـ رواحة الإنجليزى ، وبودنى ، وموسى كافر الفرنساوى .

ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيس ومترجمون . أما العمومى فأكثره مشايخ حرف ، و كتبوا بذلك طومارا(*) كبيرة نسخوا منها نسخا كثيرة وأرسلوا منها نسخا كثيرة للأعيان ، وألصقوا منها بالأسواق على العادة ، وأرسلوا للذين عينوا بالديوان أوراقا بأسمائهم شبه التقارير وصورة . صدرت تلك الطومار المكتتبة فى شأن ذلك وقد أوردت ذلك وإن كان فيه بعض طول للإطلاع على مافيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النظر ، وهى مقولة على لسان بوناپارت كبير الفرنسيين ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أمير الجيوش الفرنساوية خطاب إلى كافة أهالى مصر : خواصهم ، وعوامهم .

نعلمكم أن بعض الناس ضالى العقول المجردين من المعرفة وإدراك العواقب سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة ، والبارى ـ سبحانه وتعالى ـ أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد ، فامتثلت لأمره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم ، ولكن قد حصل عندى غيظ وغم شديدان بحسب تحريك هذه الفتنة بينكم ، ولأجل هذا أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وصلاح أحوالكم من مدة شهرين ، والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان ؛ لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقا .

أيها العلماء والأشراف أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى

(*) الطومار ، والطامور ، : الصحيفة ، والجمع : طوامير .

ويخاصمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره، فلايجد ملجأ ولامخلصا ينجيه منى فى هذا العالم، ولاينجو من بين يدى الله لمعارضته لمقادير الله - سبحانه وتعالى - والعاقل يعرف أن مافعلناه بتقدير الله - تعالى - وإرادته وقضائه، ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة.

أعلموا أمتكم أيضا أن الله قدر فى الأزل هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصلبان على يدى، وقدر فى الأزل أن أجيئ من الغرب إلى أرض مصر؛ لأهلك الذين ظلموا فيها وإجراء الأمر الذى أمرت به، ولايشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضائه.

أعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار فى آيات أخرى إلى أمور تقع فى المستقبل - وكلام الله فى كتابه صدق وحق - لايتخلف. إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم، فلترجع أمتكم جميعا إلى صفاء النية وإخلاص الطوية، فإن منهم من يمتنع عن الغى وإظهار عداوتى خوفا من سلاحى وشدة سطوتى، ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر، يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور، والذى يفعل ذلك يكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله - علام الغيوب، واعلموا أيضا أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم؛ لأننى أعرف أحوال الشخص ما انطوى عليه بمجرد ماأراه، وإن كنت لاأتكلم ولاأنطق بالذى عنده، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل مافعلته وحكمت به فهو حكم إلهى لايرد، وأن اجتهاد الإنسان غاية جهده مايمنعه عن قضاء الله الذى قدر وأجراه على يدى، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية وإخلاص السريرة والسلام.

بعد إرسال هذه الخطابات لأعضاء الديوان رصدوا لهم شهريات تدفع لهم مقابل الواجبات التى يؤدونها لصالح كل من الفرنسيين والمسلمين.

الوثيقة (٣٢)

الجبرتى[٥]

فى هذا اليوم (٩ذى الحجة ١٢١٣ هجرية ـ ١٥/ ٥/ ١٧٩٩) حضر إلى السويس تسع دارات (بواخر) بها بن وبهار وبضائع تجارية، وفيها لشريف مكة خمسمائة فرق (مكيال معروف بالسعودية يساوى ١٦ رطلا) وكان الإنجليز قد منعتها من الحضور فكاتبهم الشريف، فأطلقوها بعد أن حددوا عليها أياما مسافة التنقيل والشحنة وأخذوا منها عشورا، وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور، لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوما وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق وهو خطاب لبوسليك .

وانقضى هذا الشهر ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام وماجرى لهم أوعليهم إلا روايات لايوثق بها ولايصح بالتواتر منها إلا تكرر هجوم الإفرنج على حصن عكا ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئا إلا فعلوه، ولم ينالوا غرضا منها ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤].

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التى من أعظمها امتناع سفر الحجيج من مصر ولم يرسلوا الكسوة ولاالصرة، وذلك من أشنع الحوادث التى لم يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبدا . ولاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم .

الوثيقة (٣٣)

الجبرتى[٦]

وفى اليوم التاسع عشر من المحرم ١٢١٤ هـ ٢٥ يونية ١٧٩٩ م، هلك ميخائيل كحيل النصرانى الشامى وهو من رجال الديوان الخصوصى فجأة، وذلك من قهره

وغمه . ومنشأ ذلك أنه وزع عليه فى سلفة الفرنسيس ستة آلاف ريال فرانسه ، وشرع فى تحصيله ، ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام وأخذ جميع ماله ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه فى حصة من الليل فخرجت روحه فجأة .

فى هذا اليوم كتبوا أوراقا وطبعوها ولصقوها بالأسواق كعادتهم ، وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا ، فنمقوا ذلك بترصيف بعض الفصحاء ونصها :

من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر خطاب لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة . النصيحة من الإيمان ، قال تعالى فى محكم القرآن : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [البقرة : ١٦٨] وقال تعالى ﴿ **كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ ﴿ **وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ** ﴾ (الآيات ١٤٢ من سورة الأنعام ، و١٥١ ، ١٥٢ من سورة الشعراء) فعلى العاقل أن يتدبر الأمور قبل أن يقع فى المحظور .

نخبركم ـ معاشر المؤمنين ـ بألا تسمعوا كلام الكذابين ؛ فتصبحوا على مافعلتم نادمين ، وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش بوناپارت محب الملة المحمدية ، ونزل بعسكره بالعادلية سليما من العطب والأسقام ، ودخل مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم ، وبصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية . وكان يوما عظيما مشهودا ، وخرج أهل مصر لملاقاته ، فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه . شرح الله صدره للإسلام .

والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبه العربان الفاجرة والغز(*) الهاربة ، ومرادهما بهذه الإشاعه هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الإسلامية ، وتعطيل أحوال الديوانية لايحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ [البروج : ١٢] .

(*) الغز : جنس من الترك ، والواحد غزى .

وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى (بلى : قبيلة عربية من المهاجرين إلى مصر) والعبابدة الفجرة المفسدين يسعون فى الأرض فسادا وينهبون أموال المسلمين ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر : ١٤] ويزورّون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة، والحال، أنها ليست بحاضرة، فلاأصل لهذا الخبر ولاصحة لهذا الأثر، وإنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر، مثل ماكان يفعل إبراهيم بك فى غزة، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعى أنها من طرف السلطان ويصدقه أهل الأرياف سفهاء العقول، ولايقرأون العواقب فيقعون فى المصائب، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان فكانوا ـ أهل الصعيد ـ أحسن عقلا من أهل بحرى، بسبب هذا الرأى السديد.

ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ولايفرق بين الأخيار والأشرار، وقد جمع الطموش (الأجناس المختلفة فى أسافل الناس) الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة، وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها، وأحبوا اجتماعهم عليه لأخذ أموالها وهتك حريمها، ولكن لم تساعده الأقدار، والله يفعل ما يشاء ويختار، وكان قد أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده أن يصل إلى قطيا (من قرى سيناء قرب العريش)، فتوجه حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية، وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش، ونادوا: الفرار ! الفرار ! بعدما حصل بعسكرهم من القتل والدمار وكانوا نحو ثلاثة آلاف، وملك قلعة العريش، وأخذ غزة وهرب من كانوا فيها وفروا، ولما دخل غزة، نادى فى رعيتها بالأمان وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية وأكرم العلماء والتجار والأعيان، ثم انتقل إلى الرملة وأخذ مافيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب؛ أكثر من ألفى قربة عظام كبار، كان جهزها الجزار للذهاب بها إلى مصر.

ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذوها وأخذوا مافيها من ذخائر الجزار. ومن نحوس أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه، ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه فأعمل فيهم السيف من شدة غيظه وقوة سلطانه، وقتل منهم نحو أربعة آلاف أويزيدون بعد ماهدم سورها، وأكرم من كان فيها من أهل مصر، وأطعمهم وكساهم وجهزهم فى المراكب لمصر وخفرهم بعسكره خوفا من العربان وأجزل عطاياهم.

كان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا، وبعضهم لم ينجه إلا الفرار. ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس، فكسر من كان فيها من العساكر بمكان يقال له «فاقوم» وحرق خمسة بلاد من بلادهم وماقدر كان، ثم ضرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة، فلم يبق فيها حجر على حجر، حتى إنه يقال: كانت هناك مدينة، وقد كان بنى حصونها وشيد بنيانها فى نحو عشرين سنة، وظلم فى بنائها عباد الله وهكذا عاقبة بنيان الظالمين، ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] ؟ نزل عليهم كصاعقة من السماء ثم توجه راجعا إلى مصر المحروسة لأجل شيئين:

الأول: أنه وعدنا أنه سيعود إلينا بعد أربعة أشهر والوعد عند الحر دين.

الثانى: أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغزو العربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان.

فلما حضر، سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية، وحبه لمصر وإقليمها شىء عجيب! ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة.

لما حضر من الشام، أحضر معه جملة من الأسرى من خاص وعام، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام، فالويل كل الويل لمن

عاداه، والخير كل الخير لمن والاه، فسلموا ياعباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله، ولاتسمعوا كلام الغز الهاربين الكاذبين ولاتقولوا: إن فى الفتنة إعلاء لكلمة الدين، حاشا لله، لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس، وذل أمة النبى ﷺ.

الغز والعربان يطمعونكم ويغزونكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس.

لما حضر الصارى عسكر لمصر، أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبى - عليه السلام - ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان.

أمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية وأجرى خيرات الأوقاف السلطانية وأعطى عوائد الأوجقلية وسعى فى تحصيل أقوات الرعية.

انظروا هذه الألطاف والمزية ببركة نبينا أشرف البرية، وعرفنا أن مراده بناء مسجد عظيم بمصر لانظر له فى الأقطار، وأنه دخل فى دين النبى المختار - عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

الوثيقة (٣٤)

الجبرتى[٧]

عام ١٢١٤ هجرية

وفى يوم (الثلاثاء) ٢٢ من المحرم أرسل كبير الفرنسيس جماعة من العسكر قبضوا على ملازاده (ابن القاضى التركى المعين من قبل العثمانيين) ابن قاضى العسكر، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه، وصعدوا به إلى القلعة وحبسوه فانزعج عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا.

وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وأحضرت إليهم ورقة من الفرنسيس قرئت عليهم، مضمونها: «أن صارى عسكر قبض على ابن القاضى

وعزله، وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا لكم شيخا من العلماء يكون من أهلها (مصر) ومولدا بها يتقلد القضاء، ويقضى بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء» أجاب الحاضرون بقولهم إننا جميعا نشفع ونرتجى عنده العفو عن ابن القاضى.

وفى يوم السبت أفرجوا عن ابن القاضى، ونزل إلى عياله وبصحبته أرباب الديوان والأغا وشوامعه فى وسط المدينة؛ ليراه الناس ويبطل القيل والقال.

وفى نفس اليوم كتبوا أوراقا ونسخوا منها نسخا ولصقوها بالأسواق ونصها:

جواب إلى محفل الديوان من حضرة صارى عسكر الكبير بوناپارت أمير الجيوش الفرنساوية، محب أهل الملة المحمدية، خطابا إلى السادة العلماء: إنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى، نخبركم أن القاضى لم أعزله، وإنما هو هرب من إقليم مصر وترك أهله وأولاده، وخان صحبتنا، والمعروف والإحسان الذى فعلناه معه، وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ويتولى منصبه، ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لأنه صغير السن، وليس هو أهلا للقضاء، فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاضٍ شرعى، واعلموا أنى لاأحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين، فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم، لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى - الذى اخترتموه جميعا، وهكذا كان فعل الخلفاء فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين.

وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والإكرام حين حضر إلى وقابلنى ولم أزل حتى هذا الوقت أكرمه، ولم أحب أن يضره أحد - حكم أمننا له ولما رفعناه إلى القلعة لم نرد ضرره، رفعناه مكرما مثل مايكون فى بيته بالراحة والإكرام، والسبب الذى رفعناه به إلى القلعة، هو سكون الفتن والإصلاح بين الناس، وبعد لبس القاضى الجديد وجلوسه فى محل الحكم. مرادى أن أطلق ابن القاضى وأنزله من

القلعة وأرد له كل ممتلكاته، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجه بهم حيث أرادوا واختاروا ؛ لأنه فى أمانى وتحت حمايتى، وأعرف أن أباه ماكان يكرهنى، ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه، وأنتم ياأهل الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول، وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثمنلى من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها وأخبروهم أن حكم العثمنلى أشد تعبا من حكم المملوك وأكثر ظلما، والعاقل يعرف أن علماء مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية، يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم من سائر الأقاليم، وأنتم ياأهل الديوان عرفرنى من المنافقون المخالفون أخرج من حقهم ؛ لأن الله ـ تعالى ـ أعطانى القوة العظيمة لعقابهم وإن سيفنا طويل ليس فيه ضعف .

مرادى أن تعرفوا أهل مصر، أن قصدى ـ من كل قلبى ـ حصول الخير والسعادة لهم، فكما أن نهر النيل أفضل الأنهار وأسعدها كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين بإذن رب العالمين . والسلام ، انتهى .

كما وضح من النصوص التى قدمها الجبرتى نفسه أن بوناپارت وصل إلى البعد الذى اقترح فيه على المسلمين تحالفا مبنيا فقط على أرضية الإسلام . هذا التحالف استهدف مواجهة النفوذ الروسى وتحييده .

الوثيقة (٣٥)

الجبرتى[٨]

شهر صفر عام ١٢١٤ هـ

فى اليوم السادس عشر، ورد الخبر بأن القوات العثمانية وصلت إلى قلعة أبى قير فى صحبة السيد مصطفى باشا ، وهجموا على القلعة وقتلوا من كان فيها من الفرنسيس . «فى اليوم نفسه حضرت مكاتبة من الفرنسيين المتوجهين للمحاربة مع عسكر السلطان بجهة «أبو قير» ، وصورتها :

«لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم»

نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير عليهم سلام الله ورحمته وبركاته، بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم، نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب، أننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطراتة، وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة لأجل استكمال راحة الرعايا المساكين، وأقضى على أعدائنا المحاربين وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونعمة عامة.

وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبار حتى ظهروا بثغر الإسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة النبة (أى القتال)، وكلل المدافع النازلة عليهم، فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية «أبو قير» وبدءوا ينزلون فى البر، وأنا الآن تاركهم وقصدى أن يتكامل الجميع فى البر، وأنزل عليهم وأقتل من لايطيع وأترك الطائعين وحدهم في الحياة وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر.

والسبب فى مجئ هذه العمارة إلى هذا الطرف الغشم بالاجتماع على المماليك والعربان؛ لأجل نهب البلاد وخراب الإقليم المصرى، وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو (الروس) الإفرنج الذين كراهيتهم ظاهرة لكل من كان موحدا الله. وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله، يكرهون الإسلام ولايحترمون القرآن، وهم نظرا لكفرهم فى معتقداتهم يجعلون الآلهة ثلاثة، وأن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشريك.

ولكن عن قريب يظهر لنا أن الثلاثة لاتعطى القوة، وأن كثرة الآلهة لاتنفع، لأنه باطل بل إن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده، هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوى للعادلين الموحدين، الماحق رأى الفاسدين المشركين، وقد سبق فى علمه القديم وقضائه العظيم، أن أعطانى هذا الإقليم العظيم، وقدر وحكم بحضورى لمصر لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم، وتبديل ذلك

بالعدل والراحة مع صلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة، ووحدانيته المستقيمة، إنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة، قوة مثل قوتنا؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا مافعلنا ونحن - المعتقدين - بوحدانية الله، نعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكائنات، والمحيط علمه بالأرضين والسماوات، القائم بأمر المخلوقات. هذا مافى الآيات والكتب المنزلات.

ونخبركم بأن المسلمين إن كانوا بصحبتهم فسيكونون من المغضوب عليهم لمخالفتهم لوصية النبى - عليه أفضل الصلاة والسلام - وبسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام؛ لأن أعداء الإسلام لاينصرون الإسلام، وياويل من كانت نصرته بأعداء الله، وحاشا لله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيدا أويكون مسلما ساقهم التقدير للهلاك والتدبير مع السفالة والرزالة.

كيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب، ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار، كل يوم تحريف واحتقار؟ لاشك أن هذا المسلم فى هذه الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال، نريد منكم ياأهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار، لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد، لأن البلد الذى يحصل فيها الشر يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص، انصحوهم بأن يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم أن يفعل فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور، بسبب سلوكهم المسالك القبيحة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. تحريرا فى الرحمانية يوم الأحد ١٥ صفر سنة ١٢١٤.

ونسخوا من ذلك نسخا ولصقوها بالأسواق وفرقوا منها على الأعيان. انتهى

الوثيقة (٣٦)

[نيقولا الترك - مترجم عن النسخة الإنجليزية]

تقرير عما فعله القائد العام فى الاحتفال بذكرى مولد النبى محمد ﷺ يوم ١٢ ربيع الأول عام ١٢١٣ هجرية.

بعد أن استولى الفرنسيون على القاهرة جاء يوم ١٢ ربيع الأول الذى يوافق ذكرى مولد النبى محمد ﷺ الذى احتفل به الجنرال بوناپارت احتفالا عظيما فى ميدان الأزبكية، طبقا لعادة سكان القاهرة، كانت ليلة لاتنسى، جميع القوات المتمركزة بالمدينة اصطفوا مع طبلهم وآلاتهم الموسيقية، مع عرض رائع للألعاب النارية وطلقات مدافع كثيرة.

كان يوجد حشد كبير من الناس فى هذا الاحتفال الرائع، القائد العام حضر الوليمة التى أقيمت فى قصر الشيخ خليل البكرى الذى ترأست أسرته الاحتفال. الجنرالات وكبار الضباط والعلماء والأئمة وأعضاء الديوان كانوا جميعا ضمن المدعوين.

بوناپارت بعد ذلك منح الشيخ خليل البكرى رتبة «الأشرف»، مكان المبجل سيد عمر الذى هرب مع المماليك إلى سوريا. الشيخ خليل البكرى كان يحب الجمهورية الفرنسية، وكان المماليك يبغضونه لهذا السبب.

الوثيقة (٣٧)

[نيقولا الترك ـ مترجم عن النسخة الإنجليزية]

الأخبار عن موت بوناپارت كانت فى الحقيقة تنتشر فى مصر، كانت تسعد السكان.

يوم ١٠ محرم ١٢١٤ هجرية دخل القائد العام إلى القاهرة من بوابة النصر مع بطانة براقة، فى المقدمة دخل جنوده وحكام الأقاليم ووجهاء المدينة والعلماء وضباط الأنكشارية، السكان العظام جميعهم والمتواضعون تمكنوا من رؤيته فى هذا الاحتفال الرائع.

بعد وصوله إلى مقر إقامته بميدان الأزبكية، كتب بيانا بالفرنسية وأرسله إلى ديوان العلماء وأمرهم بترجمته إلى العربية، وطبعه وتوجيهه باسمهم إلى سكان

الأقاليم المصرية، طلب أيضا أن يعلق هذا البيان فى شوارع القاهرة حتى يعرفه الناس هذا نصه:

من أعضاء الديوان الخاص لمدينة القاهرة المحروسة إلى سكان أقاليم الشرق والغرب ومنوف وقليوب والجيزة والبحيرة.

إبداء النصح فريضة دينية، الله الأعظم قال فى القرآن بوضوح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] وأوصى أيضا بعدم طاعة من ضلوا الطريق؛ لأنهم لايعملون صالحا، ويملأون الأرض فسادا.

العاقل يجب أن يتقى نوائب الحياة قبل وقوعها، أيها المؤمنون الصادقون لاتستمعوا إلى الأفاقين فسوف تندمون على ثقتكم بكلامهم.

نحن نعلن لكم أن القائد العام سعادة بوناپارت حاكمنا وصديق أمة محمد وصل مع جيشه إلى القاهرة المحروسة، عسكر مساء أمس فى العادلية دون أن يصيبه أى سوء وهو فى صحة جيدة، ويقدم ولاءه لله العليم، ويعترف بوحدانية الله.

دخل مدينة القاهرة من بوابة النصر يوم الجمعة ١٠ محرم عام ١٢١٤ من هجرة النبى محمد ﷺ مع حاشية رائعة وباحتفال ملوكى عظيم، علاوة على العدد الكبير من الجنود، كان يوجد بين رفاقه علماء الأزهر وكبار أسرة البكرى وشيوخ قبائل العنانى والداموراشى والقاضووى والحميدى والرفاعى والقادرى وأعضاء الديوان وكبار تجار القاهرة.

كان يوما لاينسى ولم يقم أبدا مثل هذا الاحتفال منذ زمن بعيد، جميع سكان القاهرة خرجوا لاستقباله، ورأو أنه كان بالتأكيد هو القائد العام نفسه - بوناپارت شخصيا، بوناپارت أظهر بحضوره قدر زيف الإثارة التى فرضت على قصته، الله ملأ قلبه بمشاعر حب الإسلام وألقى عليه معطف الصلاح.

أولئك الذين نشروا عنه الأخبار الكاذبة كانوا من العرب والمماليك المنحطين الذين أجبرهم على الفرار، كان هدفهم من نشر هذه الأكاذيب، هو ذبح الشعب

وتدمير أمة المسلمين ونهب خزائن الحكومة؛ لأنهم كانوا أعداءً للنظام العام؛ ولكن الله وضع نهاية لسلطتهم بسبب عنفهم وطغيانهم.

. . . ومع ذلك كان هناك أمران ـ هما اللذان حفزا القائد العام؛ لكى يعود إلى مصر ـ الأول: هو الوعد الذى قطعه أن يعود بيننا خلال أربعة أشهر والوعد دين على كل رجل شريف.

الأمر الثانى كانت الأخبار التى نقلت إليه أن بعض الرجال الفاسدين من بين المماليك والعرب كانوا يحاولون أثناء غيابه أن يثيروا الاضطرابات ويحرضوا على العصيان فى مدن وأقاليم مصر، ولكن بعد عودته تبددوا مثل السحب فى وسط النهار والتى تختفى بسطوع الشمس، طالما ظلت المساوئ والمظالم تثقل كاهل الناس تأكدوا أنه سوف يستخدم همته التى لاتكل وصفاته الحميدة ليلا ونهارا إلى أن يزيلها تماما، إنه مخلص تماما لجماهير القاهرة ومصر، ويعمل فقط من أجل رفاهيتهم ورخائهم، التحسينات من أجل الملاحة على النيل ومن أجل الزراعة هى محور أفكاره واهتماماته، هو أيضا يريد أن يرى الفنون والصناعة وهى تزدهر. بإيجاز هو ينشد كل شىء صالح، ولكنه يريدها فقط فى أحسن وضع لها.

أحضر معه من سوريا أسرى من علية القوم وآخرين أقل منهم منزلة، كما أحضر مدفعا وأعلاما غنمها فى المعركة، الويل لأعدائه وطوبى لمن يحبونه، ياعباد الله استسلموا لأحكامه؛ لأن الله هو سيد الأرض، أطيعوا قوانين الله واقبلوا قرارات الله؛ لأن الممالك هى ملك الله يعطيها لعباده الذين يختارهم، هذا هو الإيمان بالله الذى يجب أن يعتنقه الإنسان، لذلك يجب أن تبعدوا أنفسكم عما قد يسبب إراقة دمائكم ويشين نساءكم، لاتتسببوا فى قتل أبنائكم ونهب ممتلكاتكم تقولوا إن الثورة هى وسيلة لإعلاء كلمة الله، عسى الله أن يحفظكم من هذه الفكرة، الثورة قد تؤدى فقط إلى المتاعب وإراقة الدماء وتحط من قدر أمة النبى محمد ﷺ.

لاتعيروا آذانكم للمماليك وللعرب الذين يريدون إغراءكم وخداعكم، هم يريدون أن يسلبوا منكم كل ماتمتلكونه عندما كانوا هنا ورأوا الفرنسيين يتقدمون، ألم يهجروكم وفروا كجنود إبليس؟

أنتم تعرفون أن بوناپارت القائد العام عندما وصل إلى مصر، أعلن لجميع

أعضاء الديوان أنه يحب الدين الإسلامى ، ويبجل الرسول ﷺ ويحترم القرآن ، ويقرأ شيئا منه كل يوم ويثق فيه ، هو أمر باستمرار أداء الفرائض الدينية فى المساجد والحفاظ على الهبات التى تقدمها الأوقاف . فى الحقيقة أعطى رعاية تامة لمساندة الناس .

تأملوا كل هذه الخدمات والمزايا التى أغدقها عليكم القائد العام بسبب حبه لنبينا أكرم خلق الله كلهم ، بالإضافة إلى ذلك ، وعدنا بأمرين لهما أهمية كبيرة ، الأول : أن يبنى فى القاهرة مسجدا عظيما لايرى الإنسان نظيرا له فى أى مكان فى العالم . ثانيا : أنه سوف يعلم كل إنسان بدخوله فى دين محمد ﷺ الذى اختاره الله .

علماء القاهرة والأئمة وقادة الأنكشارية وقعوا على هذا البيان كما رويناه أعلاه طبع ووزع فى جميع الأقاليم .

الوثيقة (٣٨)

اعتراف بوناپارت بدين الإسلام

[نيقولا الترك ـ مترجم عن النسخة الإنجليزية]

القائد العام ترك منطقة «أبو قير» وعاد مع جيشه إلى الرحمانية ، من هناك أرسل عثمان خودجا إلى رشيد وأمر بإعدامه .

عندما علمت القاهرة بهزيمة الجيش العثمانى ، اعتبرها مسلمو المدينة نكبة حلت بهم ، أصيبوا بخيبة أمل قاسية وفقدوا الأمل فى أن يروا عودة مصر إلى الحكم الإسلامى . . . يوم ٥ من ربيع الأول عاد بوناپارت إلى القاهرة ودخلها منتصرا بهيبة وجلال ، وأصاب أعداءه بالخجل والإحباط ، تبعه مصطفى باشا وابنه وبقية الأسرى الآخرين ، فى اليوم العاشر بعد وصوله ، ذهب إليه جميع الحكام والوجهاء والعلماء وأعضاء الديوان يهنئونه بعودته المنتصرة ، فحصهم بعيون ثاقبة ناقدة ، ولاحظ الألم والحزن الذى يشعرون به ، كان قد أحيط علما بالأمل الذى

كان لديهم للخلاص منه وبالاضطرابات التى ثارت أثناء غيابه، وكان يعلم عن الخطابات التى أرسلها لهم مصطفى باشا وعثمان بك عندما ذهبا إلى «أبو قير» قال لهم:

«أيها العلماء والوجهاء، أنا مندهش للحزن الذى سببه لكم انتصارى، أنتم لم تتعلموا بعد أن تقدرونى، ومع ذلك أنا قلت لكم كثيرا وأكرر لكم إننى أصبحت مسلما وإننى أومن بوحدانية الله وأجل النبى محمدا ﷺ وأحب المسلمين، أنتم لم تصدقوا كلماتى واعتقدتم أن الخوف هو الذى أثارها، ومع ذلك لقد رأيتم بأعينكم وسمعتم بآذانكم قدر عظمة قوتى وقدرتى، وتعرفون بدون شك أننى كنت دائما منتصرا، أنا أقول لكم ثانية أنا أحب النبى محمدا ﷺ، أحبه لأنه كان رجلا قديرا مثلى ولأن ظهوره على هذه الأرض حدث بأسلوب يشبه ظهورى، وأنا أيضا أتفوق عليه(*)؛ لأن غزواتى أكبر من غزواته، ومازالت توجد غزوات أخرى سوف تسمعون بآذانكم وترون بأعينكم الانتصارات الكثيرة التى سوف أحققها، إن كنتم تعرفوننى فسوف تعبدوننى(**) سوف يأتى الوقت الذى ستشعرون فيه بالذل سوف تندمون حينذاك على مافعلتم، وتذرفون الدمع حزنا على الزمن الذى تعيشون فيه الآن.

فى الحقيقة أنا أكره المسيحيين، أنا دمرت دينهم ودمرت مذابح كنائسهم وقتلت قساوستهم، ومزقت صلبانهم وأنكرت دينهم ومازلت أراهم يسعدون لسعادتى ويشاركوننى أحزانى، كيف إذن تريدوننى أن أعتنق الدين المسيحى ثانية؟ وإذا اتبعت هذا الطريق ماالفائدة التى سوف ترونها لى فى هذا؟ على أى حال لاتتدخلوا فى هذه الشئون وفقوا أنفسكم فى قانون الله المتعال، كونوا هادئين وراضين حتى تنعموا بالسلام وبالحظ السعيد.

لقد حذرتكم مرارا وأعطيتكم نصيحة مفيدة إن عرفتم كيف تقدرونها، وإذا كنتم تتذكرونها سوف تستمدون منها الفائدة والرخاء وإذا رفضتموها سوف تواجهون السوء وسوف تحزنون».

(*) يقصد فى الانتصارات العسكرية. وفى هذا سوء تقدير، فالعبرة بالنهاية والنتائج كما يقولون، بالإضافة لسوء الأدب من مسلم ـ المترجم.

(**) بالمفهوم الأوروبى، يقصد تحبوننى حبا جما، كما نقول: حب لدرجة العبادة ـ المترجم.

بعد هذا الحديث انسحب العلماء، وهم قلقون وذاهلون مما سمعوه، لم يستطع أى واحد منهم أن يرد عليه.

بوناپارت أعطى مصطفى باشا وابنه وبعض أعضاء حاشيتهم قصرا رائعا يعيشون فيه، وزودهم بالإحتياجات الضرورية للحياة، بعد ذلك بدأ يكتب للحكومة العثمانية بوساطة مصطفى باشا، ذكرهم فى خطابه بالصداقة السابقة بين فرنسا والباب العالى والتحالف الذى كان بينهما الذى استمر لعدة قرون، ثم حرضهم ضد الدول الأوروپية الأخرى، وقال لهم: إن السياسة الأكثر ملاءمة للسلطان الكبير هى أن يترك الفرنسيين يثبتون أقدامهم فى مصر، وأن وجود الفرنسيين فى هذه الدولة أفضل كثيرا من وجود المماليك، وعد بطاعة أوامر فخامته وأكد له أن الصلاة سوف تقام دائما باسمه، وأن الأموال سوف تصك دائما بخاتمه، وأن الحج سوف يستمر كالعادة، وأخبر أن الفرنسيين سوف يدفعون الضرائب المعتادة إلى خزينة القسطنطينية. مصطفى باشا أرسل هذا الخطاب مع أحد أعضاء حاشيته.

نجاحات الإنجليز فى نفس هذا الوقت أثارت رد فعل عنيف لدى القائد العام الذى أجهد نفسه فى الإعداد لرحيله إلى پاريس.

لقد ذكرنا قبل ذلك أن بوناپارت أرسل عثمان خودجا إلى رشيد، وضع هذا الرجل فى السجن فور وصوله، الچنرال الذى يحكم المدينة استدعى شهودا مسلمين وضعت شهادتهم أمام مجلس خاص. الشهود أعلنوا أمام القاضى والمفتى أن عثمان خودجا كان طاغية يستحق أن يموت. الچنرال بعد ذلك أصدر حكما وقعه جميع الوجهاء وبعد استعراضه عبر شوارع المدينة أمر بإعدامه، قام أيضا بنشر هذا الحكم فى جميع الأقاليم؛ لنشر خبر إعدامه.

يوم ١٢ ربيع الأول، أمر القائد العام كما حدث فى العام الماضى بالاحتفال بمولد النبى ﷺ. فى هذه المناسبة قام بموكب رائع عبر شوارع المدينة، وجمع على مائدة وليمة فاخرة لمصطفى باشا وجميع العلماء والأئمة، العيد صاحبته الأناشيد الموسيقية.

بعد أربعة أيام بذريعة قيامه بزيارة سكان الأقاليم لتهدئتهم، ترك القاهرة مع

حرسه الخاص، أخذ معه أيضا ٣٠٠ جندى والچنرالات أليكساندر بيرثييه ومرات وتقدم أولا إلى مدينة منوف، ومن هناك إلى الإسكندرية، بعد وقت قصير من وصوله استعد للرحيل، ثلاثة قوارب كانت فى انتظاره حمل إليها تحت جنح الظلام صناديق مليئة بالاحجار الكريمة وأوشحة النبالة وسلعا ومواد وأشياء حصل عليها فى الحروب. كان معه أيضا مماليك صغار السن مكلفون بخدمته.

بعد إتمام هذه الاستعدادات، أقام وليمة كبيرة للقائد سميث القائد العام الإنجليزى. هذا الأخير فى الفترة التى رفع فيها الفرنسيون حصارهم عن عكا، وصل بسفنه أمام شواطئ الإسكندرية. جرت العادة بين الأوروبيين عندما يكونون مشتبكين فى حرب أن يروا بعضهم بود متبادل، بوناپارت أغدق على القائد سميث جميع أنواع الاحترام وأعطاه هدايا ثمينة. التمس منه بعد ذلك إذنا بإرسال ثلاثة قوارب صغيرة إلى فرنسا.

بعد أن عاد القائد سميث فى نفس هذه الليلة إلى سفنه، صعد بوناپارت وحاشيته إلى القوارب الثلاثة وتسلل خارجا تحت غطاء ريح عاصفة. لم يعرف سميث برحيله إلابعد يومين.

كان لهذه الأخبار تأثير كبير عليه، أبحر فورا لملاحقته ولكنه لم يستطع أن يحصل على أى أخبار عنه ولم يجد له أثرا، انتهز بوناپارت فرصته وهرب كالطائر من قنصه، ونجا من الإنجليز بذكائه الخارق وصفاء عقله، وهكذا بعون من الله بعد وجوده فى مصر لمدة ١٤ شهرا استطاع أن يخلص نفسه ويعود إلى پاريس.

عودته إلى فرنسا كانت واحدة من أكثر الأحداث روعة حينذاك، أذهلت المعاصرين له، قالوا: إنها برهان على أن قدره كان سعيدا، قبل صعوده إلى السفينة، كتب إلى الچنرال كليبر الذى كان فى مدينة دمياط حينذاك يخبره برحيله، وعينه فى هذا الخطاب قائدا عاما مكانه، ووعده بأنه سوف يرسل إليه المساعدات والتعزيزات عندما يصل إلى فرنسا، أيضا أكد للچنرال دوجوا نائبه فى القاهرة تعيينه حاكما لها، وألح عليه أن ينقل خبر رحيله إلى أعضاء الديوان؛ لكى ينشروا الخبر بين الأعيان وبين الناس، وأن يؤكد لهم أن سلامتهم وسلامهم لن يتعرضا لأى متاعب أكثر مماسبق.

بوناپارت كتب أيضا رسائل لجميع الچنرالات وأعطاهم تعليمات عما يجب أن يكون عليه سلوكهم أثناء غيابه، ونصحهم أن يحسنوا حماية الدولة ورعاية الناس ووعد بإرسال المساعدة وبعودته هو نفسه قريبا مع قوات مدربة قوية. الفترة التى أشار إليهم أنها سوف تمضى قبل عودته كانت أربعة أشهر كاملة، إذا سمح لهذه الفترة أن تمضى دون ظهوره ثانية، سوف يسمح لهم أن يسلموا الدولة سلما إلى المسلمين، وأن يأخذوا عليهم شروطا خلال تدخل الإنجليز قبل عودتهم إلى پاريس.

عندما انتشرت أخبار رحيل القائد العام عبر الدولة، فرح السكان وحزن الفرنسيون. الچنرال دوجوا أمر أعضاء الديوان أن يكتبوا إلى الأقاليم؛ ليحيطوهم علما بهذا النبأ.

فيما يلى نص خطابهم:

« من المجلس الخاص لجميع أقاليم مصر فى الجنوب وعلى شاطئ البحر لجميع الناس عامة، عسى الله أن يرعاكم برحمته».

نحيطكم علما أن الچنرال دوجوا نائب قائد عام الجيش بوناپارت العظيم، كتب إلى الديوان ليعلن أن قائد عام القوات الفرنسية قد رحل إلى فرنسا، الهدف من رحلته هو أن يحل السلام فى جميع أقاليم مصر، بالإضافة إلى أنه تلقى أوامر من الجمهورية الفرنسية بسرعة عودته؛ لأن غيابه استمر وقتا طويلا. الچنرال دوجوا القائم مقامه قال لنا: إن بوناپارت قبل رحيله، اختار مكانه رجلا حصيفا مليئا بالحب والاهتمام لجميع الناس، وعينه قائدا عاما للجيوش الفرنسية، القائم مقامه أوصانا أن نظل دائما واثقين من حماية ديننا ونسائنا وتجارتنا وثروتنا وجميع ضروريات الحياة، كما كنا مع بوناپارت العظيم. نحن نوصيكم أيها الناس ألاتطيعوا من يثيرون الثورة وأن تبتعدوا عن الشغب والعصيان وأن تلتزموا بأمر خالق كل شىء. لكم التحيات».

الوثيقة (٣٩)

[نيقولا الترك ـ مترجم عن النسخة الإنجليزية]

قلنا سابقا إن القائد العام كليبر كان متبعا تعليمات سلفه بوناپارت، استمر يكتب إلى الباب العالى من خلال مصطفى باشا كوسيط ينشد موافقته على قيام الفرنسيين بإحتلال مصر طبقا للوعود التى ذكرناها سابقا، الحكومة العثمانية لم تكن لديها رغبة للموافقة على هذا المطلب، ولكن الوزير الكبير اقترح اتفاق سلام طبقا لشروط والتزامات عادلة، من بينها الالتزام بإعادة تسليم مصر المحروسة، وإخلائها بطريقة لاتتعرض فيها القوات الفرنسية لأى هجوم أثناء انسحابها.

عندما أدرك الچنرال كليبر أن الباب العالى لن يسمح أبدا ببقاء الفرنسيين فى مصر، وافق على الانسحاب طبقا لبنود معاهدة محددة وواضحة، تضمن سلامتهم ولكن قبل التصديق على هذه المعاهدة، أرسل إلى معيد الچنرال ديسايكس المعروف بحكمته وقدرته.

هو أيضا جمع بعض الچنرالات القدامى وكون منهم لجنة شرح لهم فيها الأوضاع القائمة، ورأى أن معظم الحاضرين يرغبون فى مغادرته مصر، قالوا: إنهم بإفتقارهم إلى التعزيزات وجدوا أنفسهم معرضين أكثر من أى وقت مضى لعداء وكراهية السكان، وأن الوقت الذى حدده بوناپارت لعودته إلى مصر قد انقضى فعلا دون أن يعود.

فى هذا الوقت وصلت خطابات من الوزير الكبير يهددهم فيها بأنه سوف يقضى على الفرنسيين إن لم يخرجوا من مصر، أعلن لهم أنه سوف يزحف ضدهم برجاله الأقوياء وأبطاله الذين يبلغ عددهم عدد ذرات الرمال وتبلغ قوتهم قوة الإعصار وبفرسانه الذين لايقهرون بسيوف حادة قوية. دعاهم إلى تسليم الدولة؛ لكى يتجنبوا إراقة دمائهم ودماء الناس، وحذرهم إن لم يقوموا باتباع نصيحته وإن لم يخافوا قوته، فإنهم سوف يدمرون وسوف يندمون جبن لايجدى الندم أى نفع.

الچنرال كليبر أجابه بهذه التعبيرات: « بالتأكيد أنت تقول الحقيقة: جنودكم عددهم مثل عدد النجوم فى السماء، هذا أمر معروف جيدا، ولكنهم يبعدون عن

الولاء لكم كبعد النجوم عن الأرض، ثانية أن تقارن عددهم بعدد رمال البحر لاشك فى هذا، عددهم لايحصى ولكن القليل منهم يعرفون كيف يواجهون عدوا وينجون من عدوانه، قلوبهم أصغر حجما من ذرات الرمال، وقوتهم لاتساوى قوة نملة.

أما بالنسبة لقواتنا هى قليلة العدد هذا حقيقى، ولكنها لاتقهر فى المعركة، هم قريبون منا دائما مطيعون، وإذا طلبنا منهم أن يسيروا إلى موتهم سوف يسيرون، وإذا استدعيناهم سوف يعودون، وإذا منعناهم من أن يفعلوا أى شىء سوف يتوقفون عن عمله. فى أى لحظة من اليوم نحن على استعداد لأن نقاتل وأن نهزم الفرسان والرجال الأقوياء، ونسلم أنفسنا للمصير الذى قدره الله ـ الغفور ـ لنا».

* * *

الوثائق التالية (مقتطفات من موضوعات مختلفة ومراسلات تتعلق بعمليات جيش الشرق فى مصر ومطبوعات عن تنفيذ حكم المحكمة الصادر بتاريخ ٧ نيفوز من السنة التاسعة من تاريخ الجمهورية الفرنسية) يبدو أن لها أهمية كافية لأن يعاد ذكرها هنا، حتى إذا كان ذلك فقط للتحفيز على نشر مواد مماثلة.

تبادل صريح للأفكار والمشاعر حدث بين الإسلام وبين الجمهورية الفرنسية، لم يفقد شىء منهما؛ أهميتهما أوجبت ظهورهما معا.

* * *

• رسائل من الديوان، وشريف مكة، وسلطان دارفور الخ.

الوثيقة (٤٠)

١ ـ خطاب أرسله شيوخ وأعيان القاهرة إلى شريف مكة

بعد التوجه إلى الله بالدعوات الحارة التى لا نتوقف عن دعائه بها؛ لكى يحفظ الأيام الغالية لمولانا أمير المؤمنين، جوهرة السلالة الملكية الهاشمية، زهرة تاج سلالة النبى ﷺ؛ الشريف غالب، سلطان مكة؛ ندعو الله أن يرفعه إلى أعلى درجات المجد، وأن يخلع عليه أعظم الأمجاد، ويمنحه الحماية، ويحفظه من كل سوء فى الليل والنهار، نظرا لصفاته العظيمة، أقوى الشفعاء.

يشرفنا أن نخبر مولانا، الذى لا تتوقف روحه الفياضة عن رعاية مصالح الدين والمؤمنين ، كما يشرفنا أن نخبر سيد ذرية عبد مناف، أعظم أسيادنا الأشراف، وجميع علماء الإسلام فى مكة، والقضاة، وأئمة الوعظ، وجميع التجار، وموظفى حكومة المدينة المقدسة، أنه فى اليوم السابع من شهر صفر، الموافق يوم السبت، ظهر الجيش الفرنسى على أراضى الجيزة على الشاطئ الغربى للنيل، واشتبك هناك مع المماليك فى معركة استمرت ساعتين. نتيجة المعركة كانت مميتة للمماليك الذين فروا مع غروب الشمس، تاركين فى ميدان المعركة عدداً كبيراً من الفرنسيين. فى صباح اليوم التالى ذهب وفد من علماء القانون وأعيان القاهرة إلى الجيزة، يلتمسون الأمان والحماية للمواطنين من غير المماليك ومن يوالونهم.

القائد العام وافق على مطلبهم، نفس الوفد طلب من القائد أن يسمح لهم بالدعاء لجلالة الإمبراطور فى خطبة صلاة يوم الجمعة كل أسبوع كما تعودوا، سمح لهم بذلك رسميا، وأضاف أنه هو نفسه صديق وفى للإمبراطور العثمانى، وأن جميع من يشايعونه أعزاء عليه، وجميع أعدائه هم أعداء له أيضاً.

أمر فى الحال بحرية أداء الفرائض الدينية العادية فى مدينة القاهرة، وحرية الأذان للصلاة، وحرية قراءة القرآن، وفتح المساجد، وباستمرار أداء جميع أعمال العبادة أسعده أيضاً أن يخبر الوفد أنه نفسه استوعب تماما الإيمان بأنه لا إله إلا الله، واحترام الفرنسيين عامة لنبينا ولكتابنا المقدس (القرآن)، واقتناع الكثير منهم بسمو الدين الإسلامى على بقية الأديان؛ ولكى يبرهن على ذلك؛ استشهد بتحريره لجميع المسلمين الذين كانوا عبيدا فى مالطة، التى أسعده الحظ بالاستيلاء عليها وبتدميره لكنائس المسيحيين وصلبانهم فى الدول التى قام بغزوها، وخاصة فى مدينة ڤيينا، حيث رفع الظلم الذى فرض على المسلمين هناك، وفى روما حيث قلب عرش البابا الذى أجاز مذابح المؤمنين؛ هذا العدو الأزلى للدين الإسلامى الذى جعل المسيحيين يعتقدون أن إراقة دماء المؤمنين هو عمل صالح فى نظر الله، لم يعدله وجود من أجل سلام المؤمنين الذين يرعاهم الله برحمته.

عندما اقترب الحجاج من القاهرة، ذهب قائد الجيش الفرنسى بنفسه إلى إقليم

الشرقية بعد أن علم أن اللصوص والسفاحين العرب شردوهم وسلبوهم، وقامت القوات الفرنسية بجمع من نجوا من الموت والسلب، وأحضروا لهم الركائب، وقدموا الطعام والشراب للجائعين والعطش.

أرسل الچنرال قبل رحيله إلى الشرقية بعدة أيام، رسالة إلى قافلة الحجاج يدعوها إلى السفر مباشرة إلى القاهرة، حيث يستقبلهم بترحاب شديد. لسوء الحظ لم تصلهم هذه الرسالة، ووقع الحجاج فريسة لسوء الحظ.

افتتاح قنال مدينة القاهرة حدث هذه السنة - ببهجة غير عادية - دون شك لإسعاد المؤمنين، وإزالة مخاوفهم. وزع الجنرال مبالغ كثيرة من الصدقات على الفقراء، وأقام وليمة للأعيان. بالإضافة إلى ذلك، انفق مبلغا كبيرا من المال على الاحتفال بمولد أمير الأنبياء والذى كان أكثر بريقًا، وأسعد بذلك قلوب المؤمنين، نحن عباد الله، ونحن إليه راجعون.

يجب علينا - أيضًا - أن نخبرك أن الچنرال أبدى رغبة شديدة فى تعيين أمير للحج، ولجميع الترتيبات التى تسبق رحلة الحج. لقد قررنا سويا معه أن نمنح هذا المركز الرفيع للمبجل الأمير مصطفى أغا، نائب سعادة «أبى بكير باشا»، حاكم القاهرة، ونحن نعتقد أن هذا الاختيار سوف يكون مقبولا لدى الباب العالى هذا الاقتراح أيضًا نشر السعادة والثقة بين المسلمين.

قائد الجيش الفرنسى أبدى حماسًا كبيرًا تجاه مصالح الحرمين المقدسين، وأجهد نفسه بنشاط مع كل شىء يمكن عمله لرحلة قافلة الحجاج، ونصحنا أن نحيطكم علما بذلك، كشهود عيان لاهتمامه بهذا الهدف المهم حتى تقوموا أنتم، من جانبكم، بعمل ما قد ترونه مناسبًا.

السلام على الرسول الكريم وعلى آله وأصحابه.

حرر بالقاهرة، يوم ٢٠ من ربيع الأول، عام ١٢١٣ هجريا.

عدد كبير من التوقيعات.

الوثيقة (٤١)

٢ ـ خطاب من شريف مكة المكرمة

بعون من السماء، عسى أن يصل هذا الخطاب إلى القاهرة، وأن يقدم إلى الأمير بوناپارت صديق الكعبة المكرمة، عسى أن يهديه الله إلى الصراط المستقيم.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد آخر الأنبياء، وأمير رسل الله، والصلاة والسلام على آل محمد وعلى أصحابه أجمعين.

ما يلى الخاتم الكبير لشريف مكة، حيث يقرأ الإنسان:

عبد الله القادر، غالب بن مسعود، سنة ١٢٠٢ هجرية (السنة التى تولى فيها الحكم).

من الشريف غالب بن مسعود أمير مكة إلى الأمير بوناپارت حامى العلماء، وصديق الكعبة المشرفة.

بعد تقديم تحياتى لكم، أحيطكم علما بأننى استلمت خطابكم الودى، وفهمت مضمونه، ولاحظت ـ خاصة ـ أنك سلمت مسئولية قافلة الحجاج المسلمين إلى نائب باشا القاهرة، وأنا لا أستطيع إلا أن أرحب بهذا التعيين.

أنت قلت لى: إنك قررت تشجيع الحجاج المسلمين على زيارة بيت الله الحرام، وإنهم يحتاجون إلى الأمان والحماية من جانبنا، ليس هناك أى ريب أنهم سوف يتلقون هذه الحماية المناسبة، ولن يعترض أحد أولئك الذين سوف يأتون فى سلام لزيارة الكعبة المكرمة، وقبر الرسول، الله أمر ببناء بيته المقدس ليجعله مكانا للقاء المسلمين، وهكذا يمكن لأى إنسان أن يحضر، ويكرس نفسه طبقا للعادة لأداء مناسك الحج، ولن يكون هناك شىء يخشاه.

بالنسبة لما قلته حول تشجيع تجارة البن، يجب أن تعرف أن تجار الحجاز ما زالوا غير مطمئنين بالقدر الكافى بالنسبة للمتاعب التى واجهتهم عادة من المماليك، وإذا كنت عازما أن تعطى هذه التجارة جميع التوسعات الممكنة، عليك أن تأخذ بعض

الإجراءات لتهدئتهم، وأن تحيطهم علما بالرسوم التى سوف تفرضها على البن وعلى السلع الأخرى. إذا اتخذت هذه الخطوات سوف ترى أنهم سوف يحضرون جماعات، بدون ذلك سوف يمنعهم خوف المتاعب، التى تتعرض لها أعمالهم التجارية، من الحضور إلى مصر.

ما قلته لى أيضًا عن سوء معاملة العرب للحجاج المسلمين - هذا - بالتأكيد، لن يحدث بعون من الله، وبفضل حمايتكم القوية لهم.

التحية والسلام على من اتبع الهدى.

الوثيقة (٤٢)

٣ - خطاب من ديوان القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أعضاء ديوان القاهرة، إلى بطل الضعفاء والمساكين، وحامى العلوم والعلماء، وصديق الدين الإسلامى ومن يؤمنون به، وراعى اليتامى والمظلومين، ومدبر شئون الإمبراطوريات والجيوش، الأمير العظيم المجيد الباسل للجيش الفرنسى القائد العام بوناپارت، عسى الله أن يغدق عليه كافة النعم، من الشفق إلى الغسق، تحت حماية أنبل الخلق، سيدنا محمد ﷺ.

بعد أن ندعو الله أن يحفظك، وأن يعيدك إلينا سالما، إن أردت أن تعرف الأوضاع فى القاهرة، وفى أقاليم الشمال والجنوب، والشرق والغرب، هى فى سلام ووئام تام، بعيدة عن المتاعب، وعن أى نوع من السيئات. المساجد والأسواق فى نظام رائع. النبلاء والتجار وعامة الناس لديهم أعظم تقدير لما قدم إليهم من طيبات كثيرة، ولا يتوقفون عن التضرع إلى الله لنصرته وسلامته من كل سوء.

مغمورون هكذا بالنعم الإلهية فى فيض من الوفرة والهدوء اللذين يتمتعون بهما، ويشعرون بإعجاب لحكمة وصلاح الچنرال الذى يحكم إقليم القاهرة باسمكم، ويدركون أن هذا الاختيار هو بُرهان على رعايتكم العظيمة لهم.

القائد له تدبير رائع، وهو يتبع القواعد بإحساس كامل بالعدالة.

المدير العام للشئون المالية عظيم فى نبله، وموهبته وصلاحه، ورحمته. أمير الأشراف، الشيخ البكرى، راسخ دائمًا فى صداقته؛ الشيخ الشرقاوى يعرف كيف يسترضى الجميع من خلال استقامته وصلاحه؛ الشيخ المهدى يميل دائما للشكر؛ المشرف لوسوكيار كيبيا هو دائمًا جوهرة العالم. أخيرًا، جميع سكان مصر يدعون الله من أجل عودتك، التى إن قدرها الله سوف تكون ناجحة وقريبة. الجميع يتضرعون إلى الله أن يحمى سواعدك ضد الطغاة، وأن يفتح لك أبواب الهداية.

فى اليوم السابق لرحيلك، جمع الجنرال دوجوا أعضاء الديوان العام الستين، وأوصاهم أن يتوقعوا سير الأحداث وأضاف: «أولئك الذين سوف يسيرون فى طريق العدل والعقل سوف ينالون كرمك ورحمتك، ولكن أولئك الذين سوف يزرعون المتاعب والشغب سوف يعانون من جميع السيئات التى يجلبونها على أنفسهم». الجميع شكروا له نُصحه وموقفه الودود.

عاد إلينا فى اليوم الرابع واستدعى قادة المناطق ومديرى الأسواق العامة جميعهما والشخصيات البارزة فى المدينة. أحاطهم علما بأن أى إنسان يشوه الحياة الهادئة فى مناطقهم أو أسواقهم أو فى الأماكن العامة، فإنه سوف يعاقب المسئولين الرسميين الذين فشلوا فى منع ذلك. أوصاهم أيضًا بوجوب معاقبة المفترين ومن يقومون بنشر الشائعات الكاذبة.

هذا النقاش كان له أفضل النتائج بين سكان القاهرة، كلماتك النبيلة انتشرت فى جميع الأقاليم؛ وشكرا للإجراءات الحكيمة التى اتخذتها فعلا، قوة اهتماماتكم انطبعت فى عقول الجميع، وأزالت إلى الأبد جميع مؤشرات الخلاف أو العصيان.

نرجوكم أن تخبرونا بالأحداث فور حدوثها، وأن تطمئنونا عن صحتكم، عسى الله أن يحفظها لنا من خلال شفاعة الرسول ﷺ.

- السيد خليل البكرى، نقيب الأشراف.
- عبد الله الشرقاوى، رئيس الديوان.
- محمد المهدى، سكرتير الديوان.
- على أغا المدچيدلى، عضو الديوان.
- السيد أحمد المحروقى، عضو الديوان.
- يوسف فرحات، عضو الديوان.
- بوضيف، عضو الديوان.
- چورچ نصار، عضو الديوان.
- ذو الفقار أغا، مفوض الديوان.
- يوسف الشبرخيتى، عضو الديوان.
- ميخائيل كحيل، عضو الديوان.
- لطف الله المسيرى، عضو الديوان
- فولمار، عضو الديوان.

الوثيقة (٤٣)

رقم ٤

من ديوان القاهرة المحروسة إلى قائد عام الجيوش الفرنسية، الذى أنعم الله عليه بذكاء لا حدود له، وبآلاف الصفات الرائعة الأخرى. (عسى الله أن يحفظه للضعفاء والمساكين، الحكيم العادل، وعسى أن يشمله دائما بحمايته).

بعد دعوات لا تنتهى نقدمها لمجدك، وسلامتك، وعودتك المرجوة بيننا، وبعد تحياتنا، يشرفنا أن نحيطكم علما أننا استلمنا خطابكم النبيل، الذى يحوى تقريرا عن الأحداث التى جرت أثناء استيلاء قوات الجمهورية الفرنسية على يافا، والهزيمة والمهانة التى لحقت بأعدائكم.

لقد كان من الأفضل لهم ألا يقاوموا أوامركم العليا، وأن يتخلوا إلى الأبد عن تكتيكات المكر والخداع التى قادتهم إلى الهلاك؛ ولكن عندما تفرض عدالة السماء نفسها، تعمى أعظم الأبصار حدة. لا القوة، ولا براعة الخدع الحربية، يمكنهما أن يمنعا وقوع القدر.

نحن نسخنا وطبعنا تقريركم عن هذه الأحداث، وأكدنا لشعب مصر، أنه إذا قدر للجزار الوحشى أن يحضر لمصر، لما كان قد ترك أى إنسان، دون تفرقة بين الطيب والخبيث، والطغيان الذى فرضه على الجماهير السورية مؤشر كاف.

ذكرناهم أن هذا الوحش هو من سلالة المماليك، ومدين لهم بمركزه، ومن أولئك الذين قام الله - العليم بما فى الصدور - بالتخلى عنهم.

لهذا السبب قامت جماهير مصر بتمجيد - بعد الله - كبار قضاتهم الذين قابلوكم فى الجيزة عند وصولكم الميمون، وحصلوا منكم على حمايتكم الرفيعة، وأفضالكم التى غمرتهم بها. إنهم يشكرون الله الذى لم يجعلهم يثورون عليكم ويعصونكم - كما فعل أهل يافا - لأن شعب مصر - دون نزاع - هم أفضل عباد الله.

نشرنا هذه التقارير، التى تشهد برحمتكم وصلاحكم.

استقبلنا الأعلام التى استوليتم عليها فى يافا استقبالا حافلا. جميع الأعيان، والعلماء، والتجار، وسكان القاهرة، كانوا هناك، وكان اليوم يوم مرح جماهيرى. حملنا الأعلام بفخر إلى الجامع الأزهر، ورفعناها على المنصات والأبواب. لو أن أهل يافا تصرفوا مثلنا لكانوا قد قابلوا كرمكم، ولكن الله أراد عقاب قوم ظالمين، وهو يفعل ما يشاء الويل لمن يعصاه.

إن رغبتم فى التعرف على مدينتنا المفضلة، فهى تتمتع بسعادة غامرة وثقة وولاء القائد الجنرال دوجوا، ومدير عام الشئون المالية، والعلماء، والتجار، والسكان يعيشون أسعد أيام التفاهم، متحررين من المخاوف والفظائع، لا ينقصهم إلا وجودكم المحبوب بينهم، لا يكفون عن التضرع إلى الله أن يعيدكم إليهم سريعا، متوجا بالمجد والنجاح.

نحن نقدم آلاف التحيات للجنرال الكساندر بيرثيير، الذى نعرف جيدا حسناته ومواهبه الرائعة، وإلى صديق الفقراء الرؤوف، المثقف، والمفسر الرئيسى، ڤينتور؛ وإلى ابننا إلياس (عسى الله أن يحميهم جميعا بشفاعة ابن العباس)؛ وإلى ابنكم وتلميذكم العزيز عليكم مثل أجفان العيون، ابنكم يوجين؛ وإلى صرافكم العام، إستيف، المعروف بإخلاصه فى خدمتنا؛ وأيضا إلى أمين الأسرار، سكرتيركم يوويين، المليء بأسمى الصفات، عسى الله أن يحفظهم جميعا ويمنحهم السلام.

نحن نأخذ الحرية، رغم أن ذلك قد لا يكون ضروريا، بأن نلتمس إحسانكم، إلى شعوب مصر وسوريا الفقيرة، التى أظهرت فعلا اهتماما كبيرا بها. عسى الله أن يحفظكم لنا، ويعيدكم إلينا، تحت ظلال حمايته، وبشفاعة الرسول ﷺ.

- السيد خليل البكرى، نقيب الأشراف.
- محمد المهدى، سكرتير الديوان.
- عبد الله الشرقاوى، رئيس الديوان.
- ذو الفقار أغا، مفوض الديوان.
- على أغا المدچيدلى، عضو الديوان.
- يوسف الشبرخيتى، عضو الديوان
- أحمد المحروقى، عضو الديوان.
- ميخائيل كحيل، عضو الديوان.
- يوسف فرحات، عضو الديوان.
- لطف الله المسيرى، عضو الديوان
- باديف، عضو الديوان.
- ڤولمار، عضو الديوان.
- چورچ نصار، عضو الديوان.

الوثيقة (٤٤)

رقم ٥

من الشريف غالب بن شريف مكة المكرمة، إلى دعامة الأعمدة الجبارة للإمبراطورية الفرنسية، الموهبة الرفيعة، صديقنا بوناپارت، القائد العام للجيوش الفرنسية، الذى تشعُّ منه جميع صفات الصلاح والشهامة.

بعد الدعوات التى لا نتوقف عن ترديدها لنجاحك، يشرفنا أن نحيطكم علمًا أننا تسلمنا رسالتكم النبيلة الموجهة إلينا، وأننا فهمنا جميع محتوياتها.

لقد عرفنا الرسوم التى سوف تفرض فى مصر على السلع التجارية التى تأتى إليها عبر البحر الأحمر، وعرفنا كذلك البند الذى تكرمت فيه بمنحنا حرية إدخال ٥٠٠ مندف قطن(*)، واستثناؤكم المشرف لنا هو برهان آخر على ثقتكم بصداقتنا، التى سوف نُثبتها لكم بإخلاص شديد.

تلبية لرغبتكم، أرسلنا وسائل آمنة، الخطابات الثلاثة التى ائتمنتنا عليها - الأول إلى صاحب تيپو، والثانى إلى إمام مسقط، والثالث إلى القائم بأعمالكم فى موتشا، ولدينا ما يجعلنا نتوقع أنكم، إن شاء الله، سوف تتلقون إجاباتهم قريبا.

(*) هى خشبة النداف - الضارب - التى يندف - يضرب - بها القطن.

نحن نريد أن نفعل كل ما نستطيع لتشجيع العلاقات التجارية مع مصر، وأن نعطى التجار انطباعا بالإيمان والثقة المطلقة فى كلماتكم، وفى الصداقة وحسن التفاهم الموجودين بيننا، واللذين نرجو الله ألا يتعثرا أبدا.

عودة مبعوثنا إليكم (وصل هنا فى اليوم السابع من الشهر) أزال جميع الشكوك التى غذتها الشائعات الزائفة الكاذبة، التى انتشرت بين التجار فى هذه الدولة، عن مخاطر أعمال التجارة مع مصر. خاصة خطاب وزيركم المختار والاهتمامات التى منحها لمواطنينا، وعنايته بسلامة نقل سلعهم التجارية كان لها تأثير كبير على التجار، فقاموا فورا بإرسال خمس سفن، محملة جزئيا بسلع خاصة بنا، كما سوف ترى من البيانات المرفقة.

نحن نرجوكم أن تشملوا هذه البضائع بحمايتكم، وأن تحرسها قواتكم من السويس إلى القاهرة، وأن تأمروا بالإشراف على تكاليف النقل التى يفرضها العرب، حتى تميل سلامة وأرباح العملية إلى تعزيز علاقتنا التجارية. يمكنكم أن تعتمدوا على معاملة المثل من جانبنا تجاه كل ما تتطلبه منا، عسى الله أن يعزز دائما مواقفكم الطيبة تجاهنا، وعسى أن يرعى الله سلامتكم على مر الأيام.

حاشية ـ مرفق لكم بيان بالأموال التى اعتادت مصر أن ترسلها إلينا أثناء أيام الحج.

(يوم ٢٣، ذو القعدة، ١٢١٣هـ، الموافق يوم ٩، فلوريال، السنة السابعة، بالتقويم الثورى).

الوثيقة (٤٥)

رقم ٦

(مطبوع هنا خاتم السلطان)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على آخر المرسلين.

من سلطان دارفور، جوهرة أمراء المسلمين، خليفة رسول الله رب العالمين، مثال العدالة والتقوى، خادم المدينتين المقدستين، عبد الرحمن الرشيد، حماه الله دائما؛ إلى سلطان الجيوش الفرنسية، ألف تحية وسلام.

يشرفنا أن نحيطكم علما بأن كلمة عن انتصاراتكم قد وصلتنا، وسررنا بمعرفة نصركم على المماليك. أوروبيّا تحول إلى الإسلام أخبرنا بالكيفية التى تحسن بها معاملة الأجانب، وقمنا بإرسال هذا المرسوم إلى القافلة التى يقودها إنصاف الجلابى، المكلف بأن يؤكد لكم صداقتنا التى إن شاء الله سوف تستمر. نحن نوصيكم به خيرا؛ لكى تعطيه حماية خاصة، هو وحاشيته وعبيده. نحن نقدم لكم ألف تحية وسلام، رمزا للصداقة.

الوثيقة (٤٦)

رقم ٧

القاهرة، ٩ ميسيدور، السنة السابعة

من الديوان، إلى القائد العام بوناپارت.

استلم الديوان رسالتكم التى تخبرونه بها أنكم طردتم ابن القاضى - بسبب سوء سلوك والده - وأمركم له أن يختار ويقدم رجلا لكى يحل مكانه. أجرى اقتراع بين أربعة رجال متنافسين، وحصل الشيخ أحمد العريشى على أكثر الأصوات. تم هذا تلبية لرغباتكم، وتنفيذا لأوامركم؛ ولكن يجب علينا أن نحيطكم علما أن الشيخ السادات، والشيخ الأمير، والشيخ الهريسى، والشيخ الدسوقى، والشيخ الغورى، والشيخ السرسى، والشيخ العريشى، والشيخ العنانى، وكثيرين غيرهم من أعيان المدينة الذين كانوا فى الديوان، يتشفعون إليكم جميعا مع أعضاء الديوان ويلتمسون عطفكم على ابن القاضى، الذى كان عادلا ومستقيما؛ والذى لم يكن له، بنعمة من الله، أى شأن بثورة والده، لا بالمراسلة، ولا بأى وسيلة أخرى، والذى كان دائما يخالف ويعارض بشدة تحالف والده مع أمير الحج، والذى كان،

علاوة على ذلك، شخصية ضعيفة وغير ناضجة. عندما حضر لمقابلتكم، استقبلته بالترحاب وطمأنته على نفسه، وعاد إلى بيته شاكرا عطفكم.

الناس أصبحوا يخافون على دينهم بسبب طرد قاض مسلم، دون أن يرتكب أى خطيئة، وبعد أن منحته الأمان عندما قدم إليكم. أمر يعرفه الجميع. بجانب ذلك لديه أم وجدة وأخت يبكين على مصيره، كن رؤوفا، وأعده إليهن، وكن رحيما بالناس بإزالة أى موضوع يثير الشكوى؛ لأننا نفضل أن يحبك جميع الناس، وهذا ممكن إذا ما اطمأنوا على دينهم بعيدا عن الفتنة، وتحت حمايتكم؛ وهذا الشعب لن يطمئن على دينه بعد طرد قاضيهم. إذا ما أعطيتهم كل يوم قاضيا جديدا، لن تستطيع أن تخلصهم من الخوف والريبة.

كن رؤوفا بأعضاء الديوان، وتقبل شفاعتهم، حتى لا يصيبهم ضرر من غضب الجمهور، نحن لذلك نلتمس رحمتك ومغفرتك أن تعفو عن ابن القاضى، وأن تسكنه بالأزبكية فى بيت الديوان، هو ووالدته وجدته وأخته؛ وسوف يكون أعضاء الديوان مسئولين عنه، وسوف يدير العدالة فى ديوانكم تحت الحراسة. من واجبنا أن نحيطكم علما بما يتوافق مع معنويات المدينة ويرضى الناس؛ نحن نعرف قدر حبكم للمسلمين، وتبجيلكم للقرآن، واحترامكم للرسول ﷺ كن دائما محبوبا؛ أيها الرجل العظيم، واقبل تحياتنا.

الوثيقة (٤٧)

خطاب من أعضاء ديوان القاهرة

إلى الجنرال بوناپارت

القنصل الأول لجمهورية فرنسا

(النص العربى التالى للخطاب، شهد على صحته القائد الأعلى لجيش الشرق، عبد الله. مينو).

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلاة وسلاما على خير المرسلين .

من علماء القاهرة، وشيوخ المساجد الكبرى، والأمراء، وكبار شيوخ الديوان الخاص لمدينة العاصمة، تحرسهم السماء وتحميهم .

إلى رفيع المنزلة، عظيم الروعة، شديد العظمة، شديد القوة، الجنرال بوناپارت، السيد العظيم الاحترام الذى تعرف جميع الشعوب حكمته، وتتركز عليه اهتمامات جميع بنى الإنسان، الأول بين الأبطال، رئيس الحكومة، والمحور الذى تتعلق به جميع مصالح الجمهورية الفرنسية .

اختاره الله من بين جميع خلق الله، وأغدق عليه المواهب؛ ومنحه القدرة والقوة، ونصره فى جميع المواقف، بسبب سلامة نيته تجاه صالح جميع البشر، وحكمة تدبيره اللتين تنظمان جميع أعماله .

ندعو الله أن يتلطف ويستخدمه دائما لنشر السعادة الإنسانية، وأن يجعله مصدرا للسعادة على سطح الأرض؛ لكى يشرف هذا القرن؛ لأن الله يحب الصالحين .

نرجو الله العلى أن يحفظه من كل سوء، وأن يحقق من خلاله السلام والسعادة لكل العالم، وأن يمنحه نعمة النجاح فى كل ما يتمناه لجمهورية فرنسا ولمصر، وألا يحرمه من النعم التى أغدقها عليه، بحق محمد، أعظم الأنبياء؛ آمين .

لدينا اشتياق عظيم لكى نراكم ثانية؛ لكى نسعد بتأمل صفاتكم السامية، الرائعة، أيها الأمير الكريم، من كان صلاحه وفضائله زينة الدنيا . لقد وعدتنا مرارا، وقلوبنا تخفق بالسعادة لتأكيداتكم أن أنظاركم سوف تتجه دائما إلى هذه الدولة . نحن نعتمد تماما على كلمتكم .

الله لا يخلف وعوده، وما يؤكد ثقتنا هو معرفتنا أن الله يريد منكم أن تنفذ جميع ما قلته . لذلك نحن ننتظر تنفيذ وعودكم؛ لأن الله ملك الملوك، القادر، إذا أراد شيئا، لا يستطيع أحد أن يقاوم قدرته أو يوقف تحقيق إرادته .

لقد أخضعتم جزءا من الأرض؛ وجميع الدول التى لم تمتد إليها ذراعك القوية

بعد، أصبحت خائفة. **مصر شهدت ونشرت إنجازاتكم الساحرة. الشعوب المجاورة أرسلت وفودا لكى تراكم، ولكى تدرس عن قرب إنجازاتكم الباسلة؛ جميع المناطق من الشرق إلى أقصى حدود الأرض أتت لكى تعرف دون أى ريب، أن الله قدر لكم الغزو بدون حدود. طوبى لمن يستسلمون لكم عن طيب خاطر! والويل لمن يقاتلونكم.**

ومع ذلك حكمتكم وعطفكم يفوقان قوتكم وشهرتكم. أنتم تضيفون إلى هذه العظمة التى تثير الاحترام، عطفا ولينا يثيران البهجة والإعجاب. **جميع سكان مصر: الأمراء والأعيان، إخواننا وأصدقاؤنا العزيزة علينا مصالحهم، والتجار والحرفيون فى المدن والثغور، والأدباء، ورجال العلوم، والعمال، والمزارعون، والنساء اللاتى منحهن الله شرف اللجوء إلى حماية أياديكم القوية القادرة، والتعساء والمحرومون جميعهم - صغارا وكبارا، أغنياء وفقراء - يتحدثون جميعا معكم من خلالنا، طلبوا منا أن نعبر لكم عن احترامهم؛ لأننا نشاركهم لغة مشتركة، أنتم أنفسكم أثناء وجودكم بيننا، اخترتمونا كوسطاء بينكم وبينهم. لذلك نحن جميعا نوجه من أجلكم نفس دعواتنا إلى الله، نحن نسأل الله فى عليائه أن يمنحكم دائما النصر على أعدائكم، وألا تتوقف عن فعل الخير، وأن تستمر فى حب وإعانة الفقراء، وأن تحترم وتدعم ديننا الرائع؛ لأنك فعلا قدمت أفضل مثال لاحترام ورعاية نسائنا، وهو ما نعتبره بعد الدين أثمن شىء فى الوجود؛ عسى الله أن يرعى من يعملون صالحا.**

عندما قمتم بغزو مصر، رغم قوتكم وقدرتكم الفائقة، تعاملتم معنا كما لو كنا نحن الذين اخترناكم لكى تحكمونا، لذلك قضى الله بذلك وقدر، ولا راد لإرادة الله. **نحن نشكركم ونشكر الله، لقد قمتم أيضا بمنع النكبات التى كان يمكن لها أن تصيبنا، وعاقبتم من قام أثناء فترات الاضطراب بارتكاب الآثام الفرنسيون لا يرضون عن الجريمة، ولا يميلون إلى ارتكاب الإثم، وطباعهم تمنعهم من ارتكاب المظالم. هذه ثمار مثالكم الطيب؛ طهارة مثلهم الأعلى، هى مصدر صلاحهم. الرسول محمد قال فى هذا الموضوع: «المرء على دين خليه». بالنسبة لكم،**

فضائلكم تنبع من إرادة الله، طبقا لشريعتنا «الفضيلة فى يد الله». كل شىء يخضع لإرادة الله، وما يشاء الله يحدث دون جدل طبقا لما قدره. نحن نأمل أن تعود إلى هذه الدولة سليما معافى.

لقد ظهرت بيننا كبريق ضوء يشع فى أيادى الواحد القهار، وكالضوء اختفيت فى نفس اللحظة تقريبا. أحطنا علما أنكم استدعيتم لمهمة أخرى، وأسرعتم إلى هناك لكى تحققوا انتصارات أخرى بمعونة من الله، الذى تعتمدون دائما على معونته.

أصدقاؤنا الفرنسيون، تسرنا سعادتهم تماما كما تسرهم سعادتنا، غمرونا بالسعادة عندما أخبرونا أنكم قد حققتم نصرا عظيما؛ وأنكم قد عبرتم الجبال بقواتكم ومعداتكم الحربية؛ وأن سرعة تقدمكم لم تعط لأى إنسان فرصة ليسترد أنفاسه؛ وأنكم أنفسكم انضممتم إليهم عندما كان حضوركم ضروريا لتحقيق الانتصار؛ وأنكم كنتم ترتدون معطف الإلهامات السماوية؛ وأن بشير النصر أعلن انتصاركم؛ وأن نعم السماء كانت تحيط بكم دائما؛ وأن الحماية الإلهية صحبتكم فى كل خطوة. لذلك كنت منتصرا، نحن نحمد الله على نجاحاتكم، **«وقد أطلقنا عليكم اسم «سيف الله» الذى يضرب أعداءكم وكل من يعارضكم. اليوم نحن نؤكد لكم بإخلاص تام، وصراحة جديرة بثقتكم، أن الفرنسيين والمصريين قد أصبحوا شعبا واحدا متحدا بصداقة مخلصة قوية»**. هذه الوحدة تتزايد قوتها باطراد، يوما بعد يوم، بفضل جهود صديقنا المبجل، عبد الله مينو، البارز بين الرجال، الذى جعلته حكمته ومشاعره النبيلة مميزا بين كل من جيله. نحن نتضرع إلى الله أن يرعاه، وأن يجزيه خير جزاء على رحمة وحكمة إدارته.

مثالياتكم، وتعاليمكم دائمة الحضور فى قلبه، حيث يحافظ عليها بعناية. هو يعتنق ويقدس ديانتنا المقدسة الرائعة، هو يكره الظلم والخداع، هو يحترم رسولنا، ونساءنا، وفقراءنا، هو يقدس القرآن والتقى والمتدين. قام بتنظيم إدارة العدالة، التى بنيت قوانينها على أساس الشريعة الإسلامية؛ أعاد بناءها على نفس الأسس

التى كان عليها زمن الأمراء الأوائل، وطبق بإخلاص وسائل خلفائنا القدامى، تكريما لسلوكهم الحسن؛ وضع لإدارة الأقاليم معايير سوف تخفف أعباء الضرائب. نحن نحمد الله الذى ألهمكم لكى تأتمنوه على حكومة هذه الدولة، وأن تضعنا تحت أيديه، وأن تعهد إليه بمسئولية مصالحنا ومصالح الفقراء، وبمهمة الحفاظ على روح الأخوة بين جميع عباد الله.

أملنا ألا تنسى أن هذه العاصمة هى مدينتكم الكبرى، مفخرة جميع المدن البارزة والشهيرة؛ وأنها المقعد الرئيسى لعظمتكم، حيث بدأتم ممارسة مواهبكم وحكمتكم؛ وأن جميع سكانها يحبونكم ويبجلونكم، وأنهم يتلهفون بشدة لعودتكم، ديننا الذى تحبه يحييك قلبه وعيونه مركزة عليكم. اليوم الذى سوف يصبح فيه شعبينا، والذى يجب أن يصبح فيه مواطنونا ومواطنوكم شعبا واحدا، أعلن فعلا للناس؛ ولا يوجد أى ريب أن هذه الوحدة سوف تتم يوما ما؛ لأن الله يريد ذلك، وكل ما يريده الله سوف يتم. وداعا.

كتب يوم الأربعاء، ٢١ برومير، السنة التاسعة من تقويم الجمهورية الفرنسية، الموافق يوم ٢٤ جمادى الآخر، ١٢١٥ هجرية. وقعه:

- صديقكم السيد خليل البكرى، رئيس الأشراف، القاهرة.
- صديقكم الفقير عبد الله الشرقاوى، رئيس الديوان، القاهرة.
- صديقكم الفقير محمد الأمير، مفوض الديوان، القاهرة.
- صديقكم الفقير محمد المهدى، سكرتير الديوان، القاهرة.
- صديقكم الفقير مصطفى الصاوى، عضو الديوان، القاهرة.
- صديقكم الفقير سليمان الفيومى، عضو الديوان، القاهرة.
- صديقكم الفقير موسى السرسى، عضو الديوان، القاهرة.
- صديقكم الفقير عبد الرحمن الجبرتى، عضو الديوان، القاهرة.

- صديقكم الفقير على الرشيدى، عضو الديوان، القاهرة.

الرسالة عاليه كتبت فى اجتماع الأعضاء المبجلين الذين يكونون ديوان مصر وقرئت كاملة وبوضوح أمام المجلس العام يوم ٢٤ جمادى الآخر، عام ١٢١٥ هجرية. كتبت نسخ كاملة من الرسالة الأصلية، ووضعت فى أرشيف الديوان؛ لكى تحفظ هناك بصفة أبدية. سلام.

* * *

هوامش الجزء الثانى

١ ـ بالنسبة للتواريخ التى كتبت فى وقت لاحق فى شتى دول الشرق، انظر ڤيكتور شوڤين:

Memoires et publications de la Société des Scienees, des Arts et des Lettres du Hainaut.

المجموعة السادسة، الجزء الرابع، الكتاب رقم ٥٤: La Legende de Bonaparte ص ٦٧.

٢ـ «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار». الجبرتى.

٣ـ ڤيكتور شوڤين، لا يجب أن يندهش أحد لأننا انحرفنا هنا، ليس فقط عن الفصول المشكوك فيها، بل أيضا عن الالتزام بالشعر العربى. هذه الوثائق لا تجد مكانا فى عمل نقدى.

٤ ـ كتاب مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس ـ عبد الرحمن الجبرتى ـ ص ٧٢.

٥ ـ المرجع السابق ص ١٠٤.

٦ ـ المرجع السابق ص ١١٢، ١١٣.

٧ـ المرجع السابق ص ١١٥.

٨ ـ المرجع السابق ص ١٢١.